مستقبل التدريس باللغة العربية في النظام التربوي في ظل العولمة وتحديات العصر - حالة الجزائر أنموذجاً-

د. جمال مرازقة

الملخص:

ترتبط اللغة العربية ارتباطاً وثيقاً بمكونات الأمة العربية والإسلامية، بل أنها تعتبر أهم مرتكز من خلاله يمكن للأفراد والمجتمعات العربية الحفاظ على الهوية الوطنية وإبراز الشخصية الأصيلة المتمسكة بثوابت الأمة، ومن هذا المنطلق فإن استعمال اللغة العربية في جميع ميادين ومناحي الحياة يمثل مصدر اعتزاز وفخر بلغة القرآن الكريم، وعنوان أصيل للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، كما أن الاهتمام بالتدريس ونشر وتطوير والارتقاء باللغة العربية في هذا العصر يزداد نظرا للتحولات الكبيرة والمتسارعة التي نشاهدها ونسايرها في كل لحظة من هذا الزمان الذي نعيش فيه، وهذا كله بفعل العولمة الجارفة التي شملت فضاءات متعددة مما أثرت بشكل أو بآخر على جميع نواحي الحياة وفي جميع الأصعدة، ابتداءاً بالأسرة إلى المدرسة إلى جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، كما أن لتحديات العصر من تكنولوجيا حديثة وتسارع النمو والتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأثر المباشر على هاته المؤسسات، ولعلى ضمن هذا المناخ العام نجد أن الناظم التربوي يكون على رأس هذه التحديات مما نلاحظه في الميدان من التراجع الرهيب في استعمال اللغة العربية كلغة تدريس لمختلف العلوم والمعارف وكذلك كلغة حوار وتواصل وإبداع فكري، ومن خلال هذا الطرح أردنا تبيان ماهو واقع التدريس باللغة العربية في النظام التربوي؟ وماهي التحديات التي يمكن أن نواجهها من خلال نظام العولمة؟ وأثر تلك المتغيرات على الهوية العربية الإسلامية ومقوماتها، وفي الأخير اقتراح حزمة من الحلول التي تساعد في الخروج من هذا الواقع والعمل على واستشراف واقع جديد لمستقبل التعليم باللغة العربية في الوطن العربي.

المدخل:

تعتبر اللغة العربية إحدى أهم مكون من مكونات الأمة الجزائرية والتي تعتبر جزء أساس في الفضاء العربي الإسلامي، كما أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية الأولى للجمهورية الجزائرية إضافة للهوية الأمازيغية التي تعبر عن الامتداد التاريخي للجزائر، وباعتبار اللغة العربية لغة التنزيل ولغة القرآن الكريم التي اختارها الله عزوجل فوق سبع سموات لتكون اللغة الخالدة والمفضلة لرسالة التوحيد وخاتم الأنبياء رسولنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وهذا في كل زمان ومكان ولغة التخاطب لأهل الجنة، كان لزاماً علينا جميعاً أن نوليها الاهتمام الكبير والرعاية الدائمة التي تستحقها، والعمل على نشرها وتطويرها والارتقاء بها وذلك في جميع المجالات الحياتية خاصة في أنظمتنا التربوية التي تعتبر مكانها الحقيقي للنهوض بها.

وتثير مسألة اللغة أهمية كبيرة في الاحتفاظ والاقتناع بالموروث الثقافي؛ إذ تختلف دراسة أية حضارة بغير لغتها، وكما قيل: " اللغة هي دالة الفكر"، وهي التي تجعل للمعارف والأفكار البشرية قيماً اجتماعية، وتحتفظ بالتراث للأجيال القادمة، وهو ما ركزت عليه المنظومة الفرنسية في التعامل مع أبناء الجزائريين؛ لإدراكها أنها طريق نشر اللغة الفرنسية لأنها ستربط (الأجسام بالأذهان)؛ على حد تعبير الفيلسوف الألماني فيخته (Pichte). (نفيسة دويدة، ٢٠١٤، ص:١٦٧).

يشير الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه الموسوعي (أبو القاسم سعد الله،٢٠١١،، ج٣،ص:٢٠) "... وحين سيطر الفرنسيون على الوضع في الجزائر – بعد ١٨٥٠- فرضوا أيضاً شروطهم على الإستمرار في تدريس اللغة العربية والعلوم الإنسانية، فقد شجعوا اللهجات العربية والبربرية والدارجة، لإماتة الفصحى، وفرضوا اللغة الفرنسية في

المدارس الإبتدائية وغيرها من مؤسسات التعليم مثل مدرسة ترشيح المعلمين والمدارس الشرعية. ثم تدخلوا أيضاً في طريقة تدريس الفقه. فحذفوا منه بعض الأبواب...".

يقول الدكتور فريد حاجي (فريد حاجي، ٢٠١٣، ص:٢٩٨)؛ ومثلما عرفت مسألة التعليم جدلاً واسعاً في أوساط الساسة والعسكريين والمعمرين، شهدت مسألة اللغة بدورها جدلاً حاداً بشأن دورها في المشروع الإستعماري، حيث يرى أحدهم: " إن لمعرفة اللغة قيمة ذات فائدة، بل هي أكثر من ذلك السبيل الذي يهدي إلى الحذو حذونا في خطانا ونماذجنا "، ويعتقد آخر قائلاً: " إن إيالة الجزائر لن تصبح ملكية فرنسية حقاً إلا حينما تنتشر في ربوعها لغتنا وتتأقلم فيها الفنون والعلوم التي هي مفخرة وطننا ".. " إن المعجزة الحقيقية التي ينبغي أن تحدث، إنما تكمن في إحلال الفرنسية محل اللغة العربية تدريجياً، فاللغة الفرنسية التي هي لغة السلطات والإدارة من شأنها أن تنتشر في أوساط الأهالي، لا سيما إن أقبل الجيل الجديد على تعلمها في مدارسنا".. من جهته رأي (ج.هاردي)؛ في اللغة أداة سلم، "...لأن إنتصار السلاح لا يعني النصر الكامل، إن القوة تبي الإمبراطوريات، ولكنها ليست هي التي تضمن لها الإستمرار والدوام، إن الرؤوس تنحني أمام المدافع، في حين تظل القلوب تغذي نار الحقد والرغبة في الإنتقام، يجب إخضاع النفوس بعد إخضاع الأبدان ". ومن أجل إخضاع هذه النفوس يضيف قائلاً... " لا بد من أن تكون المواد العامة التي ستتخلل التعليم هي اللغة الفرنسية التي بواسطتها سنتمكن من ربط التلاميذ بفرنسا ". (فريد حاجي،٢٠١٣، ص:٢٩٨).

فسبحان الله ما أشبه الليلة بالبارحة واليوم بالأمس، فدعاة الفرنسية من أهلها (المستوطنين) أثناء الاحتلال الفرنسي هم يعودون اليوم بأسماء مستعارة غير أسماء المحتل الظاهرة، وبعقيدة غير عقيدة المحتل المسيحي في الظاهر، لأن الباطن لا يعلم به إلا الله عزوجل ؛ لكن هم أشد حرصاً على تنفيذ وتطبيق مخططات المستعمر البغيضة الذي ارتحل عن أرض الجزائر الطاهرة بعد أن ارتوت الأرض بدماء مليون ونصف مليون شهيد، هم يعودون اليوم بكل إصرار وعزيمة وفي بعض الأحيان بدرجة أكبر بكثير من أفعال وسلوك وآراء المستعمر في حد ذاته؟!!، حيث أن ما عجزت عليه فرنسا من تطبيقه على أرض الواقع بالمدفعية والسلاح والتخريب المنهج والقتل والتشريد، يقوم به أناس هم في الظاهر من بني جلدتنا ويتكلمون بكلامنا (استعمال العامية أكثر من الفصحى في الغالب) ويتبوؤون مناصب حساسة داخل مفاصل الدولة ويتكلمون بإسم غالبية الشعب ويتعدون حتى على دستور البلاد لكن في الباطن بلغ منهم المكر والخداع والوقيعة بين أفراد الشعب الواحد واللغة الواحدة والدين الواحد ما يقوم به إبليس اللعين في التحريش بين المسلمين وإذكاء نار الفتنة والوقيعة بينهم حتى يفرقون بين الأمة الواحدة وبين الدين واللغة العربية، ليتسنى لأعداء الأمة استباحة بيضة المسلمين والتشكيك حتى في الإنتماء الحضاري لنا جميعاً، وهنا مكمن الخطر لا وفقهم الله!. لكن هذا الواقع المرير لا ينطبق عن غالبية الجزائريين المخلصين الذين نجدهم في كل زمان ومكان وحتى من هم في منصب القيادة والمسؤولية ممن يلتزمون بالدفاع عن الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، وهذا وفق ما ينص عليه الدستور الجزائري وقوانين الجمهورية. ويتحجج هؤلاء القوم اليوم بضرورة إتباع التغيرات التي يمر بها العالم وتماشياً مع العصر الذي نعيش فيه وكذلك حسب ما تفرضه سلطة العولمة بكل ما تحمله من الآثار الإيجابية والسلبية وبالتالي فإنه لا مناص لنا كأمم العالم الثالث إلا إتباع العولمة الجارفة دون التفكير أو الرجوع إلى الوراء وهذا من أجل اللحاق بالركب وحصول التقدم والتطور لأن عجلة الزمن لا تعود إلى الوراء، وبالتالي لا داعي إلى تقييم آثار العولمة علينا ولو تعدى تأثيرها الاقتصادي والسياسي على الدين والقيم واللغة والتعليم والتربية !. وفي هذا الصدد يشير مصطفي رجب: العلم هو من أهم وأمضي الأسلحة لمقاومة الآثار الضارة لظاهرة العولمة، خاصة بين الشعوب العربية والإسلامية. فالعلم منذ أمد بعيد، ظل يخدم غرضين أساسين هما: تمكيننا من معرفة الأشياء وتمكيننا من فعل أشياء مفيدة. ومن هذا المنطلق نؤكد على ضرورة الارتقاء بسبل التعليم، أولاً للحفاظ على القيم الإيجابية المكتسبة عبر العصور، وثانياً كأداة للدفاع عن هذه القيم من جراء التهديد الذي يشكله النظام العالمي الجديد. (مصطفى رجب،٢٠٠٩، ص:٧٣). وحسب منظور أفلاطون فإن التعليم يقع على عاتقه استنهاض الحكمة لاستخدام الأشياء الاستخدام الصحيح فيقول: " طالما صلحت تنشئة الشباب

فإن قارب الدولة يقودنا إلى رحلة سعيدة؛ وبخلاف ذلك فإن الآثار والعواقب لا يمكن الإفصاح عنها".(مصطفى رجب، ٢٠٠٩،ص:٧٣-٧٤). فالأمة العربية اليوم في حاجة إلى بعث الوعي العميق لكل جوانب أصالتها، وأن أول خطوات الوعي أن يعي الانسان العربي ذاته، ووعي اللغة في معنى من معانيه وعي للذات. وأن الجامعات العربية وهي مراكز الاشعاع الفكري الحر مدعوة الى بعث هذا الوعي اللغوي ورفع شعار النهضة اللغوية، وبيان الحاجة الماسة اليها، والعمل على توفير أسبابها، وإعلان أن أية دعوة إلى بناء المجتمع العربي تبقى بتراء ناقصة إذا لم يكن من همها رعاية اللغة والعمل على صيانتها ونمائها ومدها بما يكفل مواءمتها للتطور العلمي السريع الذي نشهده اليوم. (مازن المبارك،د ت، ص:١٠).

تحديد مفهوم النظام التربوي:

يعد مفهوم النظام التعليمي، بالنظر إليه كأداة للسياسة التربوية، مفهوماً محورياً لكل مقاربة تحليلية لهذا المجال، يستعمل منهجياً وبشكل خاص، في إطار الإبستمولوجيا المعاصرة للدلالة على مجموع العناصر والوسائل المرتبطة فيما بينها، بواسطة علاقات متعددة وتمتلك القدرة على التفاعل مع المحيط الاجتماعي والاقتصادي، وذلك لأجل الاستجابة لحاجيات محددة، بهدف التطوير والتنظيم الذاتي، إنه مفهوم مؤسس يشتمل على مكونات تتفاعل فيما بينها لبلوغ أهداف وغايات مختلفة، إن النظام التعليمي، شأنه في ذلك شأن كل تنظيم، يتضمن جانباً بنيوياً وآخر وظيفياً، ومن خصائصه: (محمد السوالي،٢٠١٢، ص:١٣٧-١٣٨).

- أن ديناميته وطبيعة عمله ووضعية مردوديته، تتوقف - جميعها - على طبيعة العلاقات القائمة بين مكوناته الأساسية.
- أن ظروف تفاعله مع النظام الاقتصادي والاجتماعي، تعمل على تغيير طبيعة عمله.
- أنه يشتمل على أنظمة فرعية إدارية، بيداغوجية، مركزية، جهوية، خاصة، إلخ.
- أنه يضطلع بمهام مختلفة للتربية والتكوين: الأسلاك والمستويات التعليمية، التربية غير النظامية، محو الأمية، تعليم سمعي-بصري أو افتراضي، دروس غبر المراسلة، أنشطة مدرسية موازية.

النظام التربوي في الجزائر وواقع التعريب (تعريب العلوم):

تشير الدكتورة خولة طالب الإبراهيمي على أنه من الوجهة العلمية فإن التعريب قابل للإنجاز، ذلك أن العربية على الصعيد اللغوي قادرة على غرار أية لغة أخرى على التعبير عن مختلف أشكال التفكير.إن التعريب كي يحقق غاياته مرهون بالطريقة التي تعتمد لحل كل معضلة. (خولة طالب الإبراهيمي، ٢٠١٣م،ص:١٢٧). ويمكن حصر قضية التعريب وفق النظرة التاريخية التالية:

قضية التعريب والبدايات الأولى (الخلفية التاريخية):

يقول الدكتور (تركي رابح) عن محاولة فرنسا طمس الهوية واللغة العربية: ".. من هنا لا حضنا جميعاً الحرب العنيفة التي شنتها فرنسا على اللغة العربية طوال فترة احتلالها للجزائر، حتى أنها اعتبرت لغة أجنبية في الجزائر. كما لاحظنا حربها الشاملة ضد الثقافة العربية الإسلامية التي تمثلت في الاستيلاء على المدارس العربية، وسرقة المكتبات الجزائرية، وأخذها إلى فرنسا، ومحاولة طمس المعالم الثقافية العربية في الجزائر وإغلاق أبواب المدارس في الجزائر وجامعة الجزائر في وجه الثقافة الجزائرية العربية الإسلامية حتى ينسى الجزائريون أن لهم لغة خاصة بهم. (تركي رابح، ١٩٨٤،ص:٨٩).

لقد ورثت جزائر الاستقلال إدارة مخربة هجرتها إطاراتها الاستعمارية وخزينة خاوية، ومدارس مغلقة تعرضت للنهب والتخريب، ومؤسسات هيكلية ميتة وثمانية آلاف قرية مدمرة وآلاف الهكتارات من الغابات والأشجار محروقة، وأكثر من مليون أرملة وتسعمائة ابن شهيد ومليون معطوب حرب ونصف مليون لاجئ جزائري عادوا من البلدان المجاورة، ومصانع مغلقة، واقع خطير ومر كان تحدياً رهيباً تواجهه الثورة الجزائرية التي حققت الانتصار بعد كفاح دام سبع سنوات ونصف. لكن هذا لا يمنعنا من القول بأن استخدام اللغة الفرنسية فيما بعد وبعد استتباب الأمور وتنظيم أجهزة الدولة والمؤسسات من (٦٢-١٩٦٥م) و (٦٥-١٩٧٥م)، خلق نوعاً من الزيف الثقافي وجعل العربية رغم شعارات التعريب المرفوعة غريبة في عقر دارها واقتصاد التكوين العالي للمهندسين والإطارات العليا باللغة الفرنسية مما

ساهم في تكوين طبقة من المثقفين ثقافة عالية باللغة الفرنسية يجهلون اللغة العربية وينظرون إليها بمنظار السخرية والنقص مما جعل الدعوة إلى التعريب تبدوا ككذبة نيسان (أفريل). وظهرت مبادرات على المستويات لعرقلة التعريب، غير أن انهماك القيادة الثورية في الجزائر بقضايا التأميم والسيطرة على ممتلكات البلاد وثرواتها الطبيعية والشروع في ثورة بنائية شاملة ذات ثلاثة أركان رئيسية: (الثورة الصناعية، الثورة الزراعية، الثورة الثقافية)؛ فرض عليه الاهتمام بالقضايا التحررية لأنها جزء أساسي من مسيرة الثورة، ذلك أن ثورة الفاتح من نوفمبر١٩٥٤م عندما اندلعت كانت غايتها تحرير الإنسان الجزائري من كل مظاهر الظلم والاستغلال وإعادة الإعتبار لشخصيته الوطنية والتي تعتبر اللغة العربية عمودها الفقري، وهكذا جاءت مراسيم القيادة الثورية بقوانين التعريب وتشكيل المجلس الاستشاري الأعلى للتعريب واللجنة الوطنية للتعريب التي عقدت أول ندوة لها في شهر أيار ١٩٧٥م وحددت خطة عمل شاملة لتعريب الإدارة والتعليم والبيئة والوسط والمحيط وكل مظاهر الحياة في المدينة والقرية.(عبد الرحمن سلامة، ١٩٨١،ص:٦-٧).

الدعوة إلى الازدواجية في قضية تعريب المدرسة والعلوم:

وقد نجح أعداء التعريب إلى حد كبير بواسطة هذه اللعبة إلى جر المثقفين باللغة العربية إلى حوار تناقضت فيه مواقفهم وتباينت أداؤهم مما صرف الأنظار عن الأعمال التي يقوم بها أعداء التعريب فترة من الزمن... فدعاة التعريب يعتقدون أن هذه اللغة من الإستعداد للتطور بحيث تستجيب لأهداف ومطالب ثورتنا، لا سيما وأن بلداناً شقيقة سبقتنا إلى التجربة، وأظهرت أن لغتنا لا تختلف عن اللغات الحية الأخرى في شيء.. بيد أن النزعة الثانية (دعاة الفرنسة) ترى غير ذلك، وتؤكد لمن يسمعها أن من المخاطر بالثورة الجزائرية إعتماد اللغة العربية كأداة تعليم، وتضيف إلى هذا أن اللغة الفرنسية قد أظهرت قدرتها على اسيعاب العلوم المختلف!، وهي موجودة بالفعل في المدرسة الجزائرية، فلم لا تتخذ أداة لتعليم العلوم، على أن تخصص اللغة القومية بتعليم الدين والتربية والعلوم الإنسانية الآخرى؟. إن أفراد هذه النزعة لا يشكلون إلا أقلية ضئيلة في نظلم تربيتنا، غير أنها أقلية ديناميكية تشغل مسؤوليات عليا في وزارتي التربية والتعليم. ولهذه الديناميكية وهذه المكانة الإدارية التي تشغلها إستطاعت أن تعطل اتخاذ موقف ثوري في قضية التعريب، فكلمتها مسموعة في وزارة التعليم الإبتدائي والثانوي، وكذلك وزارة التعليم العالي وهي التي تضع المناهج وتقدم التقارير وتفرض من خلال هذه المناهج وهذه التقارير وجهة نظرها التي ليست دائماً في صالح اللغة العربية. والغريب في الأمر أنها استطاعت أن تجعل حركة التعريب تقف على أبواب السنة الثالثة ابتدائي، وأن تفرض تعليم الحساب باللغة الفرنسية ابتداء من السنة الخامسة وبالنظر فقط إلى المرحلة الإبتدائية يتضح أن وجهة نظر هذه الطائفة من المواطنين مطبقة حرفياً في نظام تعليمنا، فالطفل يتعلم باللغة الأم وحدها في السنتين الأولى والثانية إبتدائي لأنه لا خطر منها في نظرها على سير التعليم في المستويات التالية، فإذا تدخل الطفل إلى السنة الخامسة السنة ما قبل الأخيرة في إعداده لدخول المرحلة التكميلية عادت العربية غير قادرة في نظر هذه الطائفة، لأن تعليم الحساب يصبح مثلاً شيئاً جدياً لا يقدر على تأديته غير لغة متطورة هي اللغة الفرنسية؟!!. (عبد الرحمن سلامة، ١٩٨١، ص:٤٢-٤٤).

والخطاب موجه إلى هؤلاء المتفرنسين والمدافعين عن استعمال اللغة الفرنسية في تدريس العلوم والنظام التعليمي بشكل عام أين ردهم من إحدى التوصيات الخاصة باللجنة الفرعية الأولى بالتكوين والتعليم والمنبثقة عن الندوة الوطنية الأولى للتعريب والتي جاء فيها ما نصه: " إن تطوير اللغة العربية وجعلها ملائمة للحضارة التكنولوجية وقادرة على المشاركة فيها لا يمكن أن يتم إلا عن طريق الممارسة واستعمال العربية بصفة متكاملة في جميع القطاعات الوطنية سواء الفكرية منها أو التقنية".. وكذلك في توصية أخرى ورد مايلي: " تعريب رأسي ينطلق من السنة الأولى للتعليم الابتدائي ويأخذ سنة بعد سنة في التوسع حتى يأتي على كل المرحلة الابتدائية ثم يستمر رأسيا في التعليم المتوسط والتعليم الثانوي لينتقل في أخر الأمر إلى الجامعة. (عبد الرحمن سلامة،١٩٨١، ص-٥٩-٧٧).

فالحقيقة التعليمية هي فكر الأمة ووحدها الحضاري، ومهما حاولنا أن نجعل نظام التعليم يقفز على مختلف الأنظمة ويحقق لنفسه حضوراً بارزاً، ورقياً مرموقاً فلن يستطيع ذلك إلا إذا وفرنا له الإمكانات المتميزة، وكانت لنا

رؤية واضحة، وكنا نملك إرادة التحدي، وكانت الفئات التي تمارس العمل التربوي تخطيطاً وتنفيذاً وتقويماً ملمة بحقيقة التحدي، ولها من الخبرة والوعي والكفاءة ما يؤهله لخدمة هذا القطاع والنهوض به، وهنا تكمن مشكلات التعليم. (عبد القادر فضيل، ٢٠١٣،ص:١٥٤).

خطورة الهجوم على اللغة العربية من الداخل والخارج:

لقد تنبه العلامة (ابن باديس) لهذا الهجوم الخطير على الدين الإسلامي واللغة العربية منذ بدايات القرن العشرين وقد عبر ذلك كما عبر عنه المفكر (محمد مبارك الميلي) في كتابه نقلاً عن ابن باديس ما نصه: " قد فهمنا- والله- ما يراد بنا وأننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا، وسنمضي- بعون الله- في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، ولن يصدنا عن ذلك شيء فنكون قد شاركنا في قتلها بأيدينا. وأننا على يقين من العاقبة- وإن طال البلاء- لنا وأن النصر سيكون حليفنا- لأننا قد عرفنا إيماناً، وشاهدنا عياناً، أن الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما ولو اجتمع كلهم على محاربتها. (محمد الميلي، ١٩٧٣.ص:١٥١-١٥٢).

وفي هذا الصدد يشير طالب عبد الرحمن (طالب عبد الرحمن،ص: ١٢-١٣-١٤)، أن كون العربية لغة التنزيل للرسالة الخاتمة الخالدة العالمية، فهذا يعني قدرة اللغة على الاستجابة للتطور الحضاري والتعبير عنه، ليس العربي أو الإسلامي فقط وإنما العالمي؛ لأن الرسالة الإسلامية الخاتمة عالمية، وخلود اللغة لسان الرسالة وأداتها متأتياً من خلود الرسالة نفسها، وهذا يعني قدرتها على الاتساع لكل تطورات العصور والتوليد والاستيعاب، بل والتعبير عن كل الحالات والأحوال، والإجابة عن كل سؤال معلوماتي، عملي أو ثقافي أو تجاري أو صناعي أو سياسي أو أدبي...إلخ، قال تعالي: (الله أعلم حيث يجعل رسالته)، [سورة الأنعام: الآية ١٢٤]؛ زماناً ومكاناً وإنساناً ولساناً؛ ومنطق الأشياء يقتضي هنا أن العربية لو لم تكن مؤهلة للتعبير عن التنزيل والامتداد به وتحقيق خلوده لما كانت محلاً للاختيار، ولو لم تكن من محركات التفسير والتفكير والاجتهاد والاستنباط والتعبير، وكلها من مقتضيات النص ولوازمه، لما كانت مؤهلة لأن تكون لغة التنزيل العالمي الخالد، فاليد الشلاّء ليس مؤهلة للحمل الثقيل.((طالب عبد الرحمن،ص: ١٢).

أما الإصابة بالجمود وغياب القدرة والإرادة على الامتداد باللغة إلى المجالات الحياتية جميعها، وامتلاك القدرة على التعبير عنها، وإبداع مصطلحات لكل علم وفن، وإيجاد المصطلحات لكل إبداع واختراع، وتطوير وسائل الوصول إلى توليد الألفاظ وتحديد دلالاتها، وإعادة ترتيب المعاجم والقواميس وإخراجه من صورتها القديمة، وتطوير وسائل التدريس، وإيجاد أساليب ووسائل وأدوات متطورة، والإفادة من علم الأصوات واللسانيات واللغات المقارنة، والإفادة من التقنيات الحديثة، فتلك مشكلة الإنسان وتخلف الإنسان الذي لا يجوز بحال أن يحمل على اللغة ويتهمها، وعلى الأخص أنها كانت لغة العلم والحضارة والثقافة والسياسة والأدب.. والشيء المريب عندما يجيء الأمر من أكثر الناس عجزاً وتخاذلاً، ممن عقولهم في آذانهم، من الذين يهاجمون العربية من الخارج، أو يعتدون على حدودها من أرض (الآخر)، واستخدام أدواته نفسها، ويحاولون تلبيس ألفاظها معاني أيديولوجيات وفلسفات غربية الوجه واللغة واللسان!. (طالب عبد الرحمن،ص: ١٣).

وقد تهون الإصابة التي تلحق بالعربية أقل الإصابات تأثيراً، فلا خوف على العربية؛ لأنها لغة التنزيل الخالد الممتد، المحفوظ بحفظ الله من خلال عزمات البشر واجتهادهم في فهم الخطاب الإلهي، واستنباط الحكم الشرعي، وما يتطلبه ذلك من امتلاك الأداة الأساس للفهم والبيان العربي، لذلك فالمشكلة الأساس هي إشكالية التخلف المركبة التي تنعكس على كل شيء بما في ذلك اللغة. (طالب عبد الرحمن،ص: ١٣).

ونعتقد أن تركيز الهجوم على اللغة بهذه الضراوة والوسائل المتعددة لأنها لغة التنزيل، والهدف البعيد قطع الأجيال القادمة عن حضارتها وتاريخها وتراثها، وأولاً وقبل كل شيء قرآنها، وإخراجه من المعاهد إلى المعابد، ليتحول إلى أصوات مبهمة غير مفهومة، كاللغات البائدة مثل: السريانية والآرمية، لذلك يستخدم الهجوم في كثير من الأحيان وسائل التدليس، فيجعل بناء اللغة وتركيبها هو السبب وليس الإنسان المتخلف العاجز عن التطور والتطوير.

وهذا التدليس إما أن يأتى بسبب التخلف، الذي يحول دون تمكين الإنسان من الكشف عن السبب الحقيقي؛ وإما بسبب الخوف والجبن من كشف العوامل

الأساسية وفي مقدمتها الاستبداد السياسي والظلم وغياب الأمن والحرية، عوائق الإنتاج والعطاء في كل المجالات؛ وإما بسبب العمالة الثقافية؛ لأن تدمير اللغة ومحاصرتها هو تعطيل لفاعلية الأمة وإطفاء لروحها، وتجميد لحركتها، وقطع لجذورها، وإقصاء لها عن تراثها، وتحويلها إلى عطاء (الآخر) والقضاء حتى على الأمل، وليس العقل فقط.؟ حيث لم تبق وسيلة مواجهة إلا واستهدفت العربية، وما ذلك إلا لإدراك خصوم الإسلام والمسلمين خطورة اللغة ودورها الحضاري والثقافي والاجتماعي والتراثي والوجودي والديني وأخيراً في حياة الأمة، وأن المعركة مع اللغة هي المعركة الأم، الذي يعني الانتصار فيها استغناءً عن كثير من المعارك والمواجهات؟(طالب عبد الرحمن،١٩٩٩،ص: ١٤).

خطورة استعمال اللهجات المحلية في التعليم وعزل اللغة العربية عن البيئة التربوية:

يقول طالب عبد الرحمن في كتابه (نحو تقويم جديد للكتابة العربية(طالب عبد الرحمن،١٩٩٩،ص،٢٨-٢٩)، إن التأكيد على اللغة العربية وتعلمها هو الذي حفظ هوية الأمة المسلمة وكيانها في الكثير من البلاد الإسلامية المستعمرة، مثل الجزائر وغيرها.. وإن الدعوة لغير العربية ومحاولة إحياء اللهجات العامية أو اللغات واللهجات القديمة، ترافقت تاريخياً مع التحرك الشعوبي والعمالة الثقافية، في محاولة للكيد للعروبة والإسلام، وعزل النص الديني عن عقل وحس وسلوك الأمة المسلمة.

ولعل من حسنات التيارات والاتجاهات القومية العربية، ودافعت عنها، ومكنت لها في المعاهد ومؤسسات التعليم، فأدت بذلك دوراً إيجابياً غير مغموط في حفظ كيان الأمة وضمان امتدادها واستمرارها، لأن المستعمر بدأ خطواته بإتجاه القضاء على كيان الأمة بفرض لغته وثقافته وعاداته ومبادئه. وقد يكون من أخطر الدعوات المعاصرة، التي بدأت تشكل قناعات مزيفة، وتتسلل إلى معاهدنا ومؤسساتنا العلمية والإعلامية، ونحن نعاني من التخاذل والتراجع الحضاري، وذلك عندما عجز أعداء اللغة عن مدافعتها وتجاوزها، ومحاولة التفريق بين لغة العلم ولغة الدين، بحيث تلغى العربية، حتى لا تستفز الأمة وتشعرها بالتحدي، وإنما تفصل عن حياة المجتمع، كون من التطبيق العلماني قي مجال اللغة، التي تحمل قيم الدين ومقاصده ودلالاته، حيث تحاصر في (المعابد) لتكون لغة العبادة، مثل الأرمية، والسريانية القديمة التي تقتصر على رجال الدين أو المتخصصين.

فاللغة العربية – لغة التنزيل – دون غيرها من لغات الدنيا، مشبعة بالمعاني والدلالات الشرعية التي تؤكد على شمولية الإسلام، وتنظيمه لجميع شؤون الحياة، وأن عزلها عن الحياة أو فصلها عن الحياة، وطردها إلى (المعابد)، واقتصارها على رجال الدين، يجعل التدين نوعاً من العطالة والتسليم غير العاقل وغير المفهوم، وبذلك يتم إشباع التطلع الديني بلون من التدين المغشوش، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع...لأن لغة العلم والمصادر والمراجع والتكنولوجيا هي اللغة الإنجليزية أو (الفرنسية) أو غير العربية، وبذلك تتسلل اللغات الأخرى بمفرداتها ومدلولاتها ومصطلحاتها وفلسفة حياة أهلها إلى إحتلال لسان الأمة وعقلها وقلبها !.

وهذه الذريعة الخطيرة، ساهمت إلى حد بعيد ولا تزال، برفع العربية من المعاهد والجامعات، ونسبة العجز لها وليس لتخاذل أهلها وتخلفهم، وهذا لون من التفكير الذرائعي الذي يأتي ثمرة لحياة التخلف وفلسفة العجز.. وأصحاب هذا الإتجاه ما يزلون أكثر عجزاً، لأنهم يعيشون على إنتاج (الآخر)، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا في موقع التلقي، فلا هم احتفظوا بذاتهم وفكروا بتطويرها، ولا هم خرجوا عن طور التقليد (للآخر)، فخسروا أنفسهم قبل أن يخسروا لغتهم، أو خسروا أنفسهم بخسارة لغتهم !... ولا نرى أننا بحاجة إلى التذكير بأن الكثير من الأمم المتقدمة اليوم، حققت سبقاً بالعلم والتكنولوجيا والعلوم الإنسانية من خلال لغتها الوطنية، ذلك أن من أخطر إصابات الأمة أن يكون تعليمها بغير لغتها، وتفكيرها بغير أدواتها، وقياس حاضرها على أصول حضارية غريبة عنها !!.

لذلك بدأت الكثير من الجهات المشبوهة تنسب إلى العربية صفات التقعر والجمود، وصعوبة التعلم، وصعوبة الكتابة، والعجز عن الاستيعاب، وتتهمها بإيجاد الحواجز النفسية بينها وبين الجمهور، وبذلك يفسح المجال للعامية والأجنبية وكل ما هو غريب وهجين على حياة الأمة وامتدادها، بإسم التمدن والتقدم والمواكبة والعولمة، وما إلى ذلك من المصطلحات الخادعة، علماً بأن الإنسان إذا فقد ذاته، لم يعد موجوداً ولا مؤهلاً

للتعامل مع هذا جميعه !.(طالب عبد الرحمن،١٩٩٩،ص:٣٠-٣١).

خطورة استعمال غير العربية (الأجنبية) في التعليم والتفكير:

إن طالب الدراسة الثانوية لا يملك لغة أجنبية يقدر بها على فهم العلوم كما يقدر على ذلك بلغته فكيف نسمح لأنفسنا أن نزود هذا الطالب بمعلومات علمية أعلى مما عرفه في دراسته الثانوية بلغة لا يلم بها ولا يفهمها حق الفهم؟ أنطلب إليه دراسة اللغة أم التعمق في اختصاصه العلمي؟ إننا عوضاً عن الأخذ بيده وتيسير سبيل الدراسة له نجمع عليه صعوبتين في وقت واحد: صعوبة تعلم اللغة أو متابعة تعلمها وصعوبة المادة العلمية التي يتخصص فيها؟ !. (مازن المبارك، دت، ص:٢٧).

إن بين الفكر واللغة رابطة لا تنفصم وإن الإنسان العربي ليفكر آلياً باللغة العربية ما دام في جو عربي وأنه لمن الصعب أن يفكر الطالب بلغته ويتحدث بغيرها إنه يضيع قسماً كبيراً من جهده في النقل والترجمة بين فكره ولسانه انه مهما يبذل من جهد فلن يستطيع أن يحصل الكمية نفسها من الحقائق والمعلومات التي كان يمكنه تحصيلها لو قرأها بلغته، إن هذه اللغة الأجنبية التي يراد من الطلاب اتقانها ستظل عند الكثيرين منهم نقطة ضعف وستصيب الكثيرين منهم بالانفصال بين الفكر واللسان " بفصام التعبير" وهو داء يصيب الكثير من المتعلمين إذ يفكر أحدهم بلغة ثم يترجم فكره إلى لغة يريد التحدث بها فإذا هي لغة مشوهة أو ركيكة أوهي على كل حال ليست تعبيراً سليماً عما فكر به وأراد التعبير عنه، بقدر ما هي تعبير عن طاقة فكرية ضائعة كان الأولى أن تصرف في التأمل والإبداع العلمي عوضاً عن أن تصرف في الترجمة والمواءمة بين الفكر واللسان، وإن من شروط الإبداع الفكري أن يكون المبدع موائماً بين فكره ولسانه وأن يكون اللسان ترجماناً آلياً للفكر لا أن يصرف المفكر قسماً كبيراً من جهده في ترجمة فكره بلغة لسانه !. (مازن المبارك، دت، ص: ٢٨).

الانبهار بالحضارة الغربية والتبعية لها:

ذلك أن قياس هذا الواقع بمعايير حضارية أخرى خارجة عن قيم الأمة وفعلها وتاريخها، ومحاولة قياسه بفترات تاريخية ليس هذا الواقع ثمرة لها، إنما هو تكريس للتخلف والتراجع واستمرار للوهن الحضاري والتمكين لامتداد (الآخر)، إضافة إلى أن القفز الحضاري- إن صح التعبير- أو القفز من فوق المجتمع وتاريخه وقيمه وحضارته وإمكانه الحضاري والثقافي واستبدال الاستيراد والتكديس للأشياء الحضارية من (الآخر) بالنهوض الذاتي لم يجد فتيلاً، ابتداءً من تاريخ الانسلاخ عن الاسلام وبدء مراحل الاحتلال والاستعمار وما بعد الاستعمار، حيث لم يحدث أي إعمار أو تقدم، وإنما الذي حدث مزيد من التخلف والتراجع، حتى إذا قيس ذلك بالمعيار الحضاري العام.(خالد أحمد حربي،٢٠٠٥، ص:٨-٩).

إشكالية العجز عند اللغة العربية والتدليس عليها بالعامية (الدارجة) في التعليم و التدريس:

يشير الدكتور عبد الكريم الأشتر في كتابه مبرزاً خطورة استبدال العربية بالعامية مايلي: " والخطر هنا خطران متداخلان: خطر في الداخل، وخطر في الخارج. فأما الخطر الثاني فمكشوفة طرقه، سواء قصدوا أن يضربوا عمود البيت الثقافي ويذيبوا لحمته، أم قصدوا أن يحسنوا إلينا في ظنهم، بعد أن أطالوا الكلام على صعوبة العربية السليمة، لغة الكتابة وحاملة المنجز الثقافي، فيزيحوها ويجعلوا الدارجة بديلاً منها، بداعي توحيد لغة الناس المنقطعة بين عملية التفكير وعملية التعبير عنه. وتبقى الفصحى (حفظاً للصلة بينها وبين القرآن الكريم، كتاب الشريعة الإسلامية في جملتها) – لغة للصلاة والطقوس الدينية- فحسب. هذا كلام – ولهام سبيتا- (W.Spitta) ؛ مدير دار الكتب المصرية أواخر القرن التاسع عشر الذي سكن بعض أحياء القاهرة الشعبية ليرصد قواعد الدارجة في بناء أنظمتها التعبيرية وسياقاتها اللغوية العامة. (عبد الكريم الأشتر، ٢٠٠٦،ص:١٠).

إن التعليم بغير العربية يلقي في نفوس الطلاب أن لغتهم القومية غير ذات نفع لهم، وأنها لا تصلح أداة للعلم ولا وسيلة للبحث العلمي، ولا يزال الوهم ينمو في أذهانهم حتى يصبح بينهم وبين لغة قومهم وثقافة أمتهم وتراثها حجاب كثيف، فاذا اعترضتهم جائحة من إغراء أو هوى – وما أكثرها- أطاحت بما بقي في نفوسهم من صلة روحية بلغتهم فاذا بين

المثقف العربي وقوميته وأمته حاجز من الكره والإحتقار وراءه حاجز من الجهل والعجز، وإذا نظرنا إلى أبعد من ذلك رأينا أن التعليم بغير العربية ذو أثر خطير في اللغة نفسها، فهو يعزلها عن العلم وعن التطور والتجديد فإذا هي بالفعل عاجزة قاصرة وإذا بينها وبين العلم والتطور أي بينها وبين الحياة بون شاسع وأمد بعيد. وعند ذلك ينظر إليها أبناؤها فيرونها جامدة صعبة القيادة، متخلفة ظاهرة الفقر، فيتهمونها بالقصور والعقم وعدم الكفاءة وقلة الغناء فيزداد استبعادهم لها عن مجال العلم والتعليم وهو أقصى ما يتمناه الإعداء لنا وللغتنا. (مازن المبارك، دت،ص: ٢٢).

أما القول بعجز لغة هي بنت الصحراء والكثبان الرملية والسيف على التطور ومواجهة العصر المتفجر بالعلم والمعرفة والمعلومات، فسأضرب مثلاً ينقض هذه الدعوى مستمداً من اللغة اللاتينية (إذا الظاهر أن الأمثلة من اللغات الأخرى تبدو أكثر إقناعاً !). فمن المعروف أن اللاتينية كانت اللغة المشتركة (Lingua franca) للوسط الثقافي لعموم العالم المسيحي الأوروبي، بحيث الاثنان باللغة اللاتينية، وقل هذا عن بقية العالم المسيحي، فالمؤلفات الفلسفية والدينية وغيرها كانت كلها باللاتينية، وقد استمر الحال على هذا النحو لأكثر من ألف سنة ومازالت اللغة اللاتينية إلى يومنا هذا ذات تأثير، وإن يكن محدوداً، فنجدها تدرس في مدارس وجامعات كثيرة وتستخدم في تسمية بعض المخترعات، ونجدها أيضاً في بعض المراسم الدينية وبعض أسماء الأشخاص، هذا كله واللاتينية لم تكن في بدايتها، وقبل سطوع نجم الإمبراطورية الرومانية إلا لهجة محلية لقرية صغيرة على نهر تايبر (Tiber) في إيطاليا. أما العربية، واستيعابها لمجمل الحضارة الإنسانية التي كانت معروفة، من علم وفلسفة وتاريخ.. إلخ، فواضح ولا يحتاج إلى إثبات، ولا نعرف شكوى من قصور العربية في استيعاب جوانب حضارية جديدة.

صحيح أن النظرة الساذجة إلى اللغة، قد توحي بعجز لغة قادمة من الصحراء عن استيعاب علو الفضاء، والإنترنت، والحاسوب.. إلخ. ولكن التعامل الفعلي مع الواقع الحضاري لا يسير حسب هذا التصور الساذج. فاللغة أذكى بكثير من هذا الذي يتخيل اللغة قوالب جاهزة مصنوعة من مادة صلبة لا بد لها أن تدخل بالدقة في مفهوم آخر جاهز، لأن الأمر لو كان كذلك لواجهت اللغات كلها صعوبة في مواكبة هذا التطور الهائل والمتسارع في المعرفة. فلم تعرف الحضارة الأوربية – علمياً- شيئاً عن علوم الكومبيوتر الحالية قبل قرنين، ولكنها تستوعب هذه العلوم الآن. والمعروف أن التطور المعرفي يسبق دائماً التطور اللغوي، ولكن اللغة تبدي دائماً طوعية ومرونة وقدرة لا نظير لها على المواكبة والتطور. ولكي نوضح الأمر نعرض مثالين محسوسين مستمدين من واقعنا اللغوي الحالي.

أول هذين المثالين هو الكلمة العربية "برقية": فهذه الكلمة المنسوبة إلى البرق، تدل في وقتنا الحاضر على رسالة سريعة جداً. فكيف استطاعت هذه اللغة (المتخلفة) بنت الصحراء البطيئة في حركتها، أن تعبر عن هذه السرعة الفائقة في نوع من الرسائل؟ الجواب واضح، فالعربية وجدت خيطاً مشتركاً بين البرق، فقد عمدت العربية هنا إلى الإستعارة، جاعلة وجه الشبه سمةً يتسم بها الشيء المستحدث مما يميزه من نظيره.

والمثال الثاني هو كلمة "إسعاف". فقد سميت السيارة هنا باسم وظيفتها، لأنها تؤدي هذه الوظيفة، وهي "إسعاف" المريض. ومن ثم لا تعدم اللغة الوسيلة التي تربط بها ما بين ما عندها من خزين من جهة، والمستجدات الحديثة من جهة أخرى. وهناك أساليب أخرى لهذا الربط. ومن ثم لا تعد كثرة الألفاظ العربية، أو المترادفات، عبئاً على العربية، وإنما العكس هو الصحيح، لأنها خزين يمكن توظيفه للتعبير عن المفاهيم والمخترعات الجديدة..(طالب عبد الرحمن،٢٠٠٦، ص١٠٩).

إن الإنتشار الرهيب لبعض الكلمات الأجنبية على حساب اللغة العربية وإحلال اللغات الأجنبية في بعض الإدارات وعلى واجهات المحلات التجارية محل اللغة العربية وما يخطط له من محاولة إزاحة اللغة العربية من الحياة اليومية للغة الأجنبية سواء في الكلام أو في وسائل الإعلام بل حتى في لغة التعليم حين أصبحت المواد العلمية تكتب من الشمال إلى اليمين وفي الأبحاث والدراسات العلمية التي أصبحت تكتب باللغة الأجنبية على حساب اللغة العربية ما هو إلا محاولة لطمس الهوية وخلق جيل يتنكر لأصالته ويتأثر بكل ماهو أجنبي وهو ما نرى بعض آثاره من تغيير ألسنة بعض الشعوب وشيوع الكثير من المظاهر الغربية في الملابس أو الأكل أو السلع الإستهلاكية...إلخ. (نور

الهدى مباركية، ٢٠١٥م.ص:٢٣٧).

العربية في مواجهة تحديات العصر الحديث:

أ)- اللغة العربية و العولمة:

يقول المفكر الدكتور (وهبة الزحيلي) منبهاً حول خطورة نظام العولمة علة المسلمين كافة (ص:١١٢): " وقد أحس العالم كله بخطورة العولمة، مما جعل أغلب الشعوب يحتج عليها ويرفضها، ويلجأ في بعض الدول إلى إعتماد مبدأ الاستثناء الثقافي، مثل فرنسة وكندة، سواء في مجال الإنتاج السمعي والبصري حيث استثنت كندة ذلك من إتفاقية التبادل التجاري، واستثنت فرنسة ضمان حماية اللغة الفرنسية والإبداع الثقافي الفرنسي كالأفلام والمسلسلات والبرامج الفنية المختلفة. إنا علينا في بلاد الإسلام أيضاً العمل على حماية القيم الدينية والأخلاقية، والأسرية، ثم تنمية الثقافة الخاصة، وأن نركز على الإبداع والحرية والتحرير والاعتدال والوسطية في مجال الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية، واللجوء إلى الحوار وإثبات الذات والشخصية الحضارية" وفيما يتعلق باللغة العربية ومناجها في ظل العولمة " على أن يمتد التغيير إلى مناهج اللغة العربية وبخاصة النصوص الأدبية". (وهبة الزحيلي، ٢٠١٠، ص:١١٢.-١١٤).

يشير في هذا الصدد المفكر والأديب (عزالدين ميهوبي): إن اللغة العربية التي تشكل صمام الأمان للشخصية الوطنية الجزائرية، لا أتصور أن استقلالاً وطنياً يكون كاملاً إذا لم يكن معززاً بالاستقلال الوطني، غير أننا لا يجب أن نكون متشائمين إزاء وضع اللغة العربية، فأنا متابع بشكل جيد لوضع اللغة العربية ليس في الجزائر فقط وإنما في العالم، الخبراء يقولون أن اللغة العربية من بين اللغات التي تعرف تطوراً كبيراً في الـ ٥٠ سنة القادمة وسيقبل عليها أكثر من ٦٠ مليون من غير العرب، وربما الوضع الصعب الذي يمر به العرب- رب ضارة نافعة- الأمر الذي جعل الآخرين يحاولون فهم العرب، فهم الشخصية العربية، فهم الذهنية العربية، صحيح نتألم عندما نرى وضع اللغة العربية مهتزاً في بلدنا، لكن وضع اللغات في العالم عموماً يعرف غلياناً وانحساراً، ففي العالم حوالي (٠٦) ألاف لغة ستتقلص إلى (٠٤) لغات ويقولون من ذلك أنه في كل ١٥ ثانية تموت لغة، لأن ضغط العولمة ينهي لغات ولهجات وألسناً، لأن العولمة وهي تنتشر بشكل قوي وسريع في البيوت وفي الأسواق، عبر الإتصال والمنتوجات فإنها تقلص من حضور هذه اللغات، وأمامنا فرنسا، فرنسا تدافع عن حضور لغتها عبر خمس وزارات كاملة: وزارة التربية، وزارة الثقافة، وزارة الخارجية، وزارة الفرنكوفونية، وزارة الشؤون ما وراء البحار، مع هذا هي تدرك أن بعد ٤٠ سنة فإن ٠٢٪ فقط من الذين يتكلمون اللغة الفرنسية. (عزالدين ميهوبي،المجلس الأعلى للغة العربية،٢٠٠٧، ص:١٥١-١٥٢).

أما القول بأن العربية تصلح للشعر والتغزل، وذكر السهاد وسهر الليالي، وليست بقادرة على مواجهة عصر المحسوس والمخترع والمجرد..إلخ، فالواقع أن هذا جزء من التفكير النمطي وتصنيف اللغات ضمن ذلك التفكير. وأقصد بالتصنيف النمطي (Stereotype) هذا التقسيم الجاهز، اليسير، السريع، بوضع الأشياء في علب أو صناديق جاهزة. كالقول بأن الفرنسية لغة الدبلوماسية، والإنجليزية لغة الأعمال والتجارة، والألمانية لغة الحرب...إلخ.

ولا شك أن القارئ سيستصعب فهم هذا الكلام النمطي حينما يتأمل فيه ويمحصه. فما المقصود مثلا بأن الفرنسية لغة الدبلوماسية؟ فهل يقصد بأن إجراء الدبلوماسية باللغة الفرنسية أفضل من إجرائه بغيرها؟ أم المقصود أن الفرنسية لا تحسن التعامل بغير القضايا الدبلوماسية؟. أم المقصود أن الفرنسية لغة أنيقة تصلح للجو الدبلوماسي الأنيق؟. أم أن المقصود وجود كلمات فرنسية كثيرة في لغات العالم تخص الحقل الدبلوماسي؟ ولا أستطيع أن أحكم على الأولى، ولكن عدم معرفة الكثيرين من الدبلوماسيين باللغة الفرنسية يجعلني أشك في صحة ذلك.(طالب عبد الرحمن،٢٠٠٦، ص١٠٩-١١٠).

ب)- اللغة العربية والغزو الثقافي:

اللغة العربية التي تعد من أهم المعالم المميزة للثقافة العربية: فعن طريق اللغة يتم التفاهم بين الناس ويستطيع الإنسان العربي التعبير عن آرائه وأفكاره وخواطره وأحاسيسه، واللغة هي التي تجعل وجود الثقافة وتناقلها من فرد لآخر ومن جيل لآخر أمراً ممكن الحدوث. وعن طريق اللغة استطاع الإنسان العربي تسجيل ثقافته حتى يستطيع تطويرها في صالحه، واللغة العربية بحكم كونها أداة التفاهم والتعبير فإنها من أهم عوامل الترابط والتماسك بين أبناء المجتمع العربي.

لهذا حاولت ولا زالت تحاول قنوات الغزو الثقافي الأجنبي التعرض للغة العربية والوقوف ضدها وطمس معالمها والتصدي لوجودها وفاعليتها وتوجيه الإتهامات لها ونعتها بنعوت هي بعيدة عنها. والغرض من تحامل أجهزة الغزو الثقافي على اللغة العربية هو إضعافها وتفتيتها والإجهاز عليها لكيلا تقوم لها قائمة، وهنا يزول دورها حسب إعتقاد قادة ومدبري حملات الغزو الثقافي عن توحيد الأمة العربية وإبراز معالم شخصيتها المتميزة. (إحسان محمد الحسن،١٩٩٨، ص:٣٤-٣٥).

يقول محمد على حوات: إن التربية بالتراث الثقافي العربي والعالمي أي ربط الثقافة بالتعليم هو من أهم ضرورات المهام التعليمية التي يجب أن توضع أولويات خطط وضع المناهج التعليمية والسياسية. فالوطن العربي يتعرض لأخطر وأدهى الغزو الثقافي لذا فإن الأنظار ترنو إلى التربية لتتولى دراسة التراث العربي الإسلامي وتحليله وتجديده من خلال ذاته ومن خلال تفاعله مع الثقافات العالمية ومع يتطلبه الحاضر والمستقبل. وأهم ما يجب أن تتولاه التربية في هذا المجال بالتنسيق مع الإعلام وإحياء القيم الإنسانية في ذلك التراث، بحيث تغدو قوة دفع تيسر التمثيل الصحيح للحضارة العلمية الثقافية، بل الحضارة التي أسهمت الثقافة العربية الإسلامية في إنتشارها منذ قرون عديدة، ومن أهما قيم سعي الأمة العربية لتوليد حضارتها، والتي يجب على التربية أن تبرزها كونها قيم إحترام العلم والعمل وإحترام العدل وقوة الفرص والتعاون والتضامن، إلى جانب القيم الأخلاقية والإجتماعية، كما أن على التربية الإهتمام والعناية البالغة باللغة العربية حاملة وناقلة قيمه ونظرته إلى الكون، وإعتبارها الوسيلة الأساسية من وسائل الحفاظ على التراث وفهمه التي يجب أن يكون المجتمع العربي على إلمام بها ودراية، حتى لا يكون عرضة للتماهي والذوبان أمام كل ماهو وارد من الخارج. (محمد على حوات، ٢٠٠٤،ص:٢٢٩).

ج)- اللغة العربية والهوية العربية الإسلامية:

يقول المفكر (محمد الصالح الصديق) نقلاً عن الإمام (عبد الحميد ابن باديس) في جريدة (المنقذ) دفاعاً عن الهوية العربية الإسلامية مانصه: " "... إننا نعتصم بالحق، ونعتصم بالتواضع عندما نقول إننا شعب خالد ككثير من الشعوب، لكننا ننصف التاريخ إذا قلنا: إننا سبقناه في ميادين الحياة، سبقناه بهدايتنا، ونشرنا بينها الشريعة الحقة قبل أن تتكون هذه الأمم، ويبقنا هذه الأمم في نشر الحق، أيام كانت في ظلمات من الجهل حالكة، أيام كانت تسبح في لجج من الأوهام والخيالات. وذلك ما كنا فيه، وما سنعود إن شاء الله إليه، وإنما علينا أن نعرف تاريخنا ومن يعرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لائقة به في هذا الوجود، ولا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر والمستقبل السعيد إلا هذا الحبل المتين: اللغة العربية؛ لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة". (محمد الصالح الصديق، ٢٠١٤،.ص:١٩).

وتقول الدكتورة (خولة طالب الإبراهيمي) مبرزةً دور اللغة في الهوية الوطنية :" القطر الجزائري ينتمي إلى وطن واحد هو الوطن العربي، والجزائريون ينتسبون إلى مجموعة بشرية هي الأمة العربية ويربطهم بشعوبها تاريخ واحد وينتمون إلى حوض حضاري واحد هو الحضارة العربية. ولا يمكن للجزائر أن تسترد وجهها العربي وأن تتقدم فيها الثقافة الوطنية وتسترد الشخصية الجزائرية الأصلية إلا إذا سادت لغة البلاد في جميع مظاهر الحياة الجزائرية وهذا لا يمكن تحقيقه إلا إذا تعلم جميع المثقفين لغتهم القومي". (خولة طالب الإبراهيمي، ٢٠١٣،ص:١٨٤).

مبررات تصحيح الوضع اللغوي وإصلاح النظام التربوي في المدرسة الجزائرية:

وطبقاً لهذا التفكير كان تعاملنا الرسمي مع الوضع التعليمي، ذلك التعامل الذي يمكن أن نؤرخ له من خلال المراحل الثلاث التي عرفتها مسيرة التعليم في الفترة الانتقالية: (عبد القادر فضيل، ٢٠١٣،ص: ٣١-٣٢).

أ- مرحلة هدفها التبني والتوجيه (تبني الوضع القائم بعد إدخال تعديلات بسيطة).

ب- مرحلة هدفها الإصلاح الجزئي (التصحيح الضروري).

ت- مرحلة هدفها التغيير الشامل (بناء نظام تربوي وطني).

المرحلة الأولى: التبني والتوجيه.

ورثت الجزائر غداة الاستقلال نظام تربوي متهالك بفعل الإعمال الشنيعة التي قام بها المستعمر الفرنسي

في حق الشعب الجزائري ومقومات الامة الجزائرية وكان لتعليمهم النصيب الاوفر في هذا الهدم المقصود خاصة التشديد على اللغة العربية كتابة ونطقاً وفي هذا الصدد يقو الدكتور إبراهيم مياسي: ولم يقتصر عداء الإدارة الاستعمارية وعداء غلاة الاستعمار على توفير فرص التعليم للأهالي فحسب، بل نجحوا منذ ١٨٨٠م في منع تعليم اللغة العربية في المدارس القليلة التي كانت موجودة بحجة اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة، حتى قال أحد الجزائريين المتفر نسين: " إن تعلم اللغة العربية أصعب من تعلم اللغة الفرنسية بالنسبة للجزائريين". (إبراهيم مياسي، ٢٠٠٧،ص: ١٥٧).

المرحلة الثانية: الإصلاح الجزئي والتصحيح الضروري.

يشير عبد القادر فضيل(عبد القادر فضيل، ٢٠١٣،ص: ٣٣)، على أن تصحيح الوضع اللغوي في التعليم كان طليعة الأهداف المرسومة في صلب السياسة التعليمية النظرية إن إعادة صياغة النظام التعليمي الموروث صياغة جديدة كانت هدف التحويرات والإصلاحات الجزئية التي تمت على فترات متعاقبة، والتي مهدت السبيل لهذا التغيير الشامل الذي أدى إلى بناء نظام تربوي وطني، مستخلص من ظروفنا وتجاربنا وتحولات مجتمعاتنا، معبر عن توجهاتنا وتطلعات أجيالنا، مؤدي وفق الاتجاه الفكري والعقائدي الذي تسير عليه بلادنا سياسياً واجتماعياً. هذا النظام هو الذي توجنا به الإصلاحات الجزئية وأنهينا به المرحلة الانتقالية التي عرفتها المدرسة، وأسسنا بمقتضاه المدرسة الجزائرية التي صدرت النصوص المؤسسة لها عام ١٩٧٦م، وشرع في تعميم العمل بها عام ١٩٨٠م، ومن المناسب أن نشير إلى بعض التوجيهات التي يتميز بها هذا النظام وهي: (عبد القادر فضيل، ٢٠١٣،ص: ٣٦-٣٧).

أ- إقرار نظام التعليم الأساسي الذي يعوض التعليم الابتدائي والمتوسط ويمدد المرحلة الإلزامية إلى ٩ سنوان، ويدمج في مناهجه بين العمل الفكري والعمل اليدوي ويربط المدرسة بالمحيط الاجتماعي والاقتصادي، ويسعى إلى تنمية حب العمل والتدريب علية.

ب- جعل اللغة العربية لغة تعليم جميع المواد في جميع المراحل، لتحقيق الغاية الأساسية من تجديد النظام، وهي توحيد التعليم وتأصيله وربطه بقيم المجتمع.

ت- التركيز على التربية العلمية والتكنولوجية التي تتيح للمتعلمين توظيف المعارف النظرية في مجالات العمل التطبيقي.

ث- تنظيم تعليم اللغات الأجنبية بصفتها روافد مساعدة على التفتح على العالم والاستفادة من تجارب الغير مع تحديد الدور الذي يسند لها في إطار اهتمامات العلمية.

ج- تجديد نظام التعليم الثانوي وتنويع المسارات الدراسية التي تنظم الاختصاصات على أساسها مع تطوير أساليب التوجيه وطرائق التعامل مع المعرفة.

المرحلة الثالثة: مرحلة هدفها التغيير الشامل (بناء نظام تربوي وطني).

يتمثل في تحقيق التعريب الشامل، ولكن على نطاق محصور لطور كامل من التعليم ثم تدريجيا من مؤسسة إلى آخرى ومن منطقة إلى أخرى إلى غاية بلوغ التعريب الشامل...وفي بداية ١٩٧٩م شرع في تطبيق المدرسة الأساسية والتعريب الشامل للتعليم إلى أن تحقق ذلك فعلاً في ١٩٨٩م. وجاء بعد ذلك دور التعليم الثانوي ليستقبل في ١٩٨٦م الدفعة الأولى من التلاميذ خريجي المدرسة الأساسية المعربة تماماً.وفي ١٩٨٩م، وصلت إلى الجامعة الدفعة الأولى- بجميع تخصصاتها- من الطلبة الحاملين لشهادة البكالوريا المعربة.(خولة طالب الإبراهيمي، ٢٠١٣،ص:١٢٩-١٣٣).

اللغة العربية وخصائص بناء المدرسة الوطنية: البدايات الأولى:

عندما نعود الى واقع التدريس باللغة العربية في النظام التربوي الجزائري ندرك الخلل الموجود في هذا المجال إن المعضلة التربوي القائمة في بداية الأمر، لم تكن في الحقيقة تتمثل في التصورات الفلسفية، أو في الأهداف البيداغوجية والتعليمية للمنظومة التربوية، امتثالا لتعاليم دينه الحنيف الذي يرفع مسألة طلب العلم إلى مستوى أرفع درجات الواجب الديني. وقد اشتد تمسكه أكثر بهذا المبدأ النبيل، عندما رأى المحتل الغاشم، يعلن الحرب بلا هوادة ولا مهادنة وبتصميم رهيب على إبادة الجزائريين-

حساً ومعنى-، وإلى أقصى حد ممكن ومن ذلك إبادة شخصية من بقي منهم، لينقطعوا نهائياً عن أصول ثقافتهم العربية الإسلامية، التي مثلت مركز قوتهم وقلعة عزهم وصمودهم وإزدهارهم، وهذا ليسهل عليه إستخدامهم، إستخدام العبيد أو أحط من ذلك ولكي يفقد ذاكرتهم التاريخية والثقافية، فلا يفكرون مجرد التفكير في السيادة من جديد على أرضهم، وتأسيس دولتهم الحرة المستقلة.. لقد وعى الجزائريون بعمق هذا المسعى الإستعماري الشنيع، وعملوا دوماً على إحباطه، مضحين في سبيل ذلك بالنفس والنفيس، دفاعاً عن هويتهم وكرامتهم، وعن الإنسانية المتجسدة فيهم، وهو العدو الغاشم يرحل إلى الأبد جاراً أذيال الخيبة والفشل، وهكذا تعلو كلمة الحق فوق بهتان الباطل ولو بعد آلام متصلة لعدد من الأجيال المتعاقبة. وهاهي الفرصة تبدوا – نظرياً- متاحة لنشر التعليم الذي طالما حلم به الجزائريون ولكن أين تكون البداية حقاً؟. (عبد المالك حمروش،١٩٩٠،ص:٩٠-٩١).

إن التحول من الاهتمام بتعليم اللغة إلى التعليم بها كان بداية تاريخية لها قيمتها فقد غير كثيراً من صفات المدرسة الموروثة وهيأ الشروط الضرورية لإقامة مدرسة وطنية، ولكن هذه الخطوة رغم أهميتها لم تلق التشجيع الكافي، بل عرفت انتكاسة بعد ذلك، فتعثر سير المدرسة في المجال اللغوي بالخصوص، وأصبح التردد مسيطراً على تفكير من بيدهم قرار التغيير – فلم تتواصل الجهود وفق ما كان منتظراً- وبنفس العزم الذي أظهره الخطاب السياسي. لذلك ظلت اللغة الفرنسية مسيطرة على التعليم وعلى الاتجاه الثقافي، على الرغم من نبرة الخطاب الرسمي الذي كان يؤكد في كل مناسبة أن اللغة العربية يجب أن تستعيد وظيفتها كلغة تعليم وتكوين، ولكنه بقي خطاباً نظرياً، لم يلتزم المسؤولون والمسيرون به، بل أبقوه خطاباً موجهاً للاستهلاك، فانقسم الناس تجاه ذلك فريقين: فريقاً يناصر التعريب، وفريقاً يؤيد الاتجاه المضاد(عبد القادر فضيل، ٢٠١٣،ص: ٣٤-٣٥).

ولقد أدركت الجزائر بفضل ثورتها المباركة وكفاحها البطولي المجيد لاسترجاع سيادتها وتحقيق استقلالها، حاجتها الماسة للاعتماد على قدراتها الذاتية. فليس من المعقول أن تعتمد إلى طرد المحتل ثم تلجأ إليه في تدبير شؤنها وتعزيز استقلالها وبناء اقتصادها، لذلك انتهجت استراتيجية تقوم على بناء قدرات ذاتية، فاستثمرت في رأسمالها البشري بتكوين أبنائها علمياً وتقنياً وإدارياً لخوض غمار معركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ضمن مخطط وطني يهدف إلى تعزيز مؤهلات البلاد الإدارية والإنتاجية. وكثمرة لهذه السياسة المتبصرة على الطريق الصحيح للتخلص من التبعية، أو لت بلادنا عناية كبيرة لقطاعات التربية والتعليم والتكوين منذ فجر الاستقلال. (محمد على بوغازي، المجلس الأعلى للغة العربية،٢٠٠٦، ص:١٨).

ومهما يكن فقد تواصلت عمليات التصحيح والإصلاح، ولك بأسلوب يفتقر إلى الدقة في التخطيط، والوضوح في الرؤية، مما أبقى الاتجاه غامضاً، والغاية غير واضحة، فالاحتفاظ بمكونات المدرسة الموروثة وإدخال عناصر جديدة في صلب نظامها التعليمي جعل المؤسسة التعليمية الواحدة تتعامل مع نظامين متوازيين يعيشان تحت سقف إداري واحد: نظام تميزه خصائص المدرسة الفرنسية، ونظام يرمز إلى خصائص المدرسة الوطنية، ولكن الغاية من هذا التنظيم لم تكن واضحة بالقدر الكافي. ومع ذلك فقد حققت عمليات الإصلاح والتصحيح التي تمت في هذه الفترة النتائج التالية: (عبد القادر فضيل، ٢٠١٣،ص:٣٥).

١- تعريب الصفوف الأربعة الأولى من التعليم تعريباً شاملاً.
٢- تعريب المواد الاجتماعية (التاريخ- الجغرافيا- الفلسفة) في مختلف المراحل.
٣- تعريب ثلث أقسام المواد العلمية تعريباً تاماً في المراحل الثالث.
٤- ضبط التصور القانوني الكامل لبناء نظام تربوي وطني.

بذل جهود مماثلة في مستوى التعليم العالي بهدف تكوين الإطارات التي يحتاجه الميدان، لأن الجامعة والمعاهد العليا التي كانت حكراً التي كانت حكراً على نخبة، أصبحت هذه الجامعة بعد الإستقلال مفتوحة لكل الجزائريين، وقد وضعت في البداية تسهيلات إدارية مكنت الكثير من الراغبين في تحصيل العلم ومواصلة التعلم أن ينتسبوا إليها، وينهلوا من مواردها، ويصبحوا بعد ذلك من جملة إطاراتها. (عبد القادر فضيل، ٢٠١٣،ص: ٣٦-٣٧).

وقد نادى بيان (عمان) في فقرته السادسة بـ: " وجوب العمل على تعميم استعمال اللغة العربية، لغة للتعليم في

جميع مراحله، وبجميع أنواعه، وفي البحث العلمي ووسائل الإعلام والثقافة، بإعتبار اللغة العربية القومية، هي أهم دعامة للوحدة، وهي الوعاء الصحيح للثقافة الأصلية للأمة، وأن أصالة التفكير العلمي لا تترسخ في الأمة إلا من خلال لغتها ". (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٥، ص:٢٤٢).

الغرب يحافظ على لغته فإين نحن من ذلك ؟:

إن العربية تتعرض الآن لخطر عظيم يأتي من المد العولمي الذي يهدف في حقيقته إلى أمركة العلم، وأوربته وطبعاً عولمة العالم بلغتهم وثقافتهم وسياستهم لا بلغتنا وثقافتنا، ثم الأخطر من ذلك يأتيها من بعض أبنائها العاقين الذين دارت في مخيلاتهم هذه القناعات، واعتنقوا هذا التوجه وقالوا إن العربية عاجزة على حمل الفكر التكنولوجي وكأن ذلك حكراً على اللسان الإنجليزي أو الفرنسي، وتناسوا ما حققه الصينيون واليابانيون والروس والكوريون والهنود بلغاتهم وثقافتهم في هذا الميدان، إن هذا التحليل يهدف التضييق من مجال تعلم اللغات العالمية ولا التقليل من شأن الاستعانة بها، بقدر ما أريد التنبيه إلى ضرورة جعل اللغة العربية لغة العلم، والاختراع التكنولوجي، والإبداع الفكري والأدبي. (عبد الناصر بوعلي، ٢٠٠٩،ص:٤٨).

وقد تنبه لأمر اللغة الكثير من الدول، ففي إطار مواجهة فرنسا لغزو اللغة الإنجليزية، والانبهار بكل ما هو أمريكي، وشيوع لغة الاستهلاك، والإغراء بالعادات والأنماط والتسميات الأمريكية، وحرصاً منها على هويتها وثقافتها، أصدرت عام ١٩٩٤م قانوناً بإسم: ((لزوم الفرنسية))، إذ يحظر على الفرنسيين أن يستخدموا أي لغة أجنبية في خطابهم العام، مشيراً إلى كافة الوثائق والمستندات والإعلانات المسموعة والمرئية والأفلام الدعائية، التي تبث عبر الإذاعة والتلفزيون والمجلات التجارية والشركات العامة على الأرض الفرنسية.. ونص القانون على عقوبة مغلظة هي غرامة تصل إلى ألفي دولار، والسند في ذلك كما تقول ديباجة القانون: إن اللغة الفرنسية فيها من الألفاظ والمعاني ما يغني عن استخدام لغات أجنبية في الخطاب العام.

والتساؤل ماذا نقول نحن عن الثراء الكبير الموجود في لغتنا العربية وهذا بشهاده علماء اللغة واللسانيات العرب والعجم؟! (طالب عبد الرحمن، ١٩٩٩،ص:٢٣).

واجبنا نحو اللغة العربية في التعليم:

وتبقى اللغة العربية أحد أهم مظاهر السيادة والانتماء وعاملاً أساسياً من عوامل الإبداع والإبتكار، فاستعمالها في التعليم سيمكن أبناءنا من رفع قدراتهم التحصيلية والإبداعية، إذ يؤكد علماء التربية أن التعليم باللغة الوطنية يرفع الكفاءة التعليمية، ويوفر الجهد والزمن لإستعاب المادة التعليمية، وبما أننا لا نستغني عن العلوم الحديثة لأن توصلنا إلى التقدم وعدم الاعتماد على الآخر، لابد لنا من إتاحة المجال لتعليم هذه العلوم إلى أبنائنا باللغة العربية. فليس من الضروري أن يكون المبدع ملماً بلغة أجنبية، وليس من الضروري أن يكون متقن لغة أجنبية مبدعا، فليس هناك أفضلية للغة على أخرى إلا بما أوتيت من استعدادات وقدرات تنتميّ إليها وتحيط بها دون أن يعني ذلك إطلاقاً إهمال رفع مستوى إتقان اللغات الأجنبية. (محمد على بوغازي، ٢٠٠٦، ص:٢٥).

إن عينا إفهام طلابنا أنه ليس هناك انفصال بين علم نلقنهم إياه وعمل يهيئون أنفسهم له، إننا لا نعلمهم اللغة ليؤدوا بها امتحانا ولكننا نسلحهم بأداة للتأليف وننمي في نفوسهم روح أمتهم ونطبع عقولهم بأساليب تفكيرها. وعلينا أن نجعل من مناهجنا صورة لمجموعة المعارف التي ينبغي أن يزود بها الطلاب على أن تتمثل فيها مع ذلك حاجة المتعلم واهتمامه وحاجة المجتمع ومتطلبات الأمة من وراء تعلمه. (مازن المبارك، دت،٢٣).

يقول الدكتور صالح بلعيد (٢٠٠٧م)؛ ومن حقوق اللغة العربية عدم الاعتداء على شرفها، فهل يقبل الفرنسي الذي يدرس اللغة الإنجليزية في أغلب أطوار تعليمه اعتبار الإنجليزية لغة مكملة للهوية الفرنسية !..لقد حان الوقت للتخلص من عقد الماضي المفزع. لابد من التحرر من دسائس الاستعمار والعقد النفسية التي علقت بنا، ونعرف من نحن، ولابد من استعادة الثقة في هويتنا اللغوية، واعتبار الهوية الجزائرية حصيلة التفاعل القائم بين ثلاثي متماسك: أرض- ودين- ولغة- ، وإن الجزائر لا تكتمل خصائصها وشروطها، ولا تتضح ملامحها ولا تظهر أصالتها إلا بوضعها في سياقها الحقيقي؛ وهو كون الجزائر لا تتجزأ من خريطة العلم الإسلامي، وقد أبرز ذلك الإمام

الصنهاجي عبد الحميد بن باديس حين قال:

شعب الجزائر مسلم

وإلى العروبة ينتسب

ويقصد بالعروبة اللسان، وهو فوق السلالات، ولم ينكر قط ما أثبته التاريخ من أصل أمازيغي للجزائر، وإن وضوح هذه الأشياء التي لا تقبل التجزئة، تنهي عن أي تناقض مصطنع، وتعبر عن نظرة علمية للواقع القائم، وتفسح المجال لبناء وحدة وطنية قوية؛ تنطلق من الاعتراف بالتنوع وصولاً إلى الوحدة، وهذا ما كان في سابق زماننا، وفهمه آباؤنا بعمق، وتخلوا عن أنانيتهم الشخصية والفهم الضيق لحدود الهوية المرتبطة بالدم والعرق والإقليم الجغرافي، فأقبلوا على تعلم هذه اللغة (العربية) وتعميمها وتبويبها مكان السيادة والرئاسة على سائر اللغات والألسنة الأخرى، ومن خلال فعل الأجداد تحددت المنطلقات التالية: (صالح بلعيد،٢٠٠٧، ص:٦١-٦٢).

- اللغة العربية عنصر أساس، ومكون ضروري وحيوي من مكونات الشعب الجزائري.
- مكونات الشعب الجزائري: الجزائر وطناً / الإسلام ديناً / اللغة العربية لغة. (أي لغة عامة الشعب الجزائري).
- اللغة العربية مرتكز العبادة والعقيدة والعلم والفكر والثقافة والحكم.

وللانتقال من هذا الواقع المرير لحال الأمة، يرى الدكتور يماني كما نقله الدكتور عبد العزيز سنبل: أن إعداد الناشئة للمستقبل وتهيئتهم لولوج القرن الحادي والعشرين، وتمكينهم من مواجهة تيارات العولمة يحتم ربط الناشئة بالعقيدة الإسلامية، وترسيخ القيم والمبادئ في نفوسهم، وإعدادهم الإعداد الصحيح، وأن نتحدث إليهم بلغة يفهمونها، ونقدم لهم نموذج الحضارات العربية والإسلامية، ونأخذ بيد الشباب ليتعمقوا في مبادئ وقيم هذه الحضارات. وهنا نحتاج إلى رؤية ومرونة ووعي وانفتاح، ثم احترام الإنسان وخصوصياته حتى يثق فيما حوله ومن حوله، ويعتز بكرامته ويأمن على نفسه ومستقبله وحقوقه المشروعة. إن تحركنا لابد أن يكون في جوهر الاحترام المتبادل وثقة الأجيال فينا، وأن نعمل جاهدين لاحترام حقوق الإنسان وبخاصة حرية التعبير والقدرة على الحوار وحرية الكلمة.. إن التربية العربية في إطار العولمة يجب أن تساعد الأطفال والراشدين على تفهم أفضل لثقافتهم الخاصة، والماضي فيها والحاضر، ولكن في نطاق مجتمع عالمي يعتبر فيه انفتاح الثقافات الخاصة على بعضها، وحوارها مع بعضها، وإيجابية تعاملها مع غيرها، هو الوسيلة الوحيدة لازدهار أي منها. (عبد العزيز بن عبدالله السنبل،٢٠٠٢،ص:٧٤-٧٥).

ونقول لدعاة الفرنسة والعامية مكان الفصحى ما قاله المفكر إدريس خضر: " إن ما عجزت فرنسا عن تحقيقه خلال ١٣٢ سنه يريد عملاؤها تحقيقه الآن في عهد الاستقلال والسيادة معناه أخرجنا الغزاة من الباب وهم يريدون إدخالهم من النافذة. نقول لهؤلاء لو أراد الشعب الجزائري الاندماج والذوبان في فرنسا لما كلف نفسه عناء كفاح مرير وقدم ضحايا عديدين يربون على حوالي خمسة ملايين، منذ بداية الغزو إلى نهاية الاحتلال. (إدريس خضر، ٢٠٠١م،ص:١٠٣).

وهذا ما أكدته استراتيجية تطوير التربية العربية لسنة (٢٠٠٨م)؛ "..وأن يعمل النظام التربوي على تطوير العقل العربي من أجل إيجاد موقف أكثر استجابة لمقتضيات العولمة مع السعي إلى أن يكون مؤشراً وفاعلاً وإيجابياً بدل الركون إلى المواقف الرافضة، مع الأخذ بنظر الاعتبار إعطاء عناية خاصة للقيم العربية والإسلامية في مناهج التعليم حتى تستطيع مقابلة ما تفرضه العولمة من تحديات وقيم مغايرة وبذلك فلا خوف من أن تطمس العولمة خصوصيتنا الثقافية والحضارية خاصة إذا ما وضعت الاستراتيجية أسساً واضحة للتعامل الرشيد مع العولمة والتيقظ إلى ما يمكن أن يهدد ذاتيتنا الثقافية والحضارية ". (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٨م.ص:٨٩).

وهذا ما دعمته كذلك خطة تطوير التعليم في الوطن العربي (٢٠٠٩م) حيث ورد في الخطة مايلي: "..إن ثراء اللغة العربية ووجوب تطويعها لاستيعاب الجديد من المفاهيم والمصطلحات في العلوم والتقانة يشكل تحدياً حقيقياً من جانب، وفرصة هامة للتعلم وإرساء قواعد المجتمع المتعلم وامتلاك ناصية المعرفة من جانب آخر. وهذا يعني الاهتمام بتدريس اللغة العربية من خلال توحيد مناهجها في مرحلة التعليم الأساسي ووضع المعاجم اللغوية الموحدة، والعناية بتدريب المعلمين. كما أن إجادة تعلم اللغات الحية الأخرى سوف تمكن المتعلم من التواصل مع الثقافات والشعوب الأخرى وأن يغترف من المخزون المعرفي العالمي..". (جامعة الدول العربية، ٢٠٠٩،ص:٧٣).

وهذا ما أكدته النصوص التشريعية

للدولة الجزائرية من أجل الحفاظ على اللغة العربية وتطويرها خاصة في مجال تنظيم التربية في الجزائر كما ينص عليه القانون التوجيهي (٠٨/٠٤) إذ جاء في المادة:٣٣مايلي: " يتم التعليم باللغة العربية في جميع مستويات التربية سواء في المؤسسات العمومية أو المؤسسات الخاصة للتربية والتعليم.(سعد لعمش، ٢٠١٠،ص:٥٣).

يقول الدكتور إبراهيم السامرائي (١٩٨٦) متسائلاً عن واقع تعريب العلوم في ميدان التدريس مايلي:" إننا نواجه في عصرنا هذا مشكلة تدريس العلوم الحديثة بالعربية، وما أظن أن المشكلة على قدر كبير من الصعوبة لو أحسنا الوصول إليها ولسنا بدعاً بين الأمم إذا أردنا أن نسلك هذا الطريق. ذلك أن الأمم المتقدمة منها وغير المتقدمة، سلكت هذا السبيل؛ فالفرنسي يدرس العلوم بالفرنسية، والألماني بالألمانية، والروسي بالروسية واليوغسلافي بلغته الخاصة، والياباني باليابانية، والتركي بالتركية، والإيراني بالفارسية، إلا ترى أن الحق يفرض علينا أن نعلم أن عربيتنا أكثر تقبلاً للعلم الحديث من كثير من اللغات ولا سيما الشرقية منها؟." (مجموعة من الؤلفين،١٩٨٦،ص:٤٣٦).

الخاتمة:

إن دعوتنا لاستخدام اللغة العربية في مجال التعليم والبحث العلمي والعلوم والتكنولوجيا في مدارسنا وجامعاتنا، وفي ميدان الاتصال وتكنلوجيا الإعلام،وفي التعاملات اليومية (في السياسة والاقتصاد)، لا يعني هذا كله أنها دعوة لإقصاء اللهجات المحلية (العامية) في التخاطب اليومي، أو الانتقاص من تعليم اللغات الأجنبية المنتشرة بقوة وفي جميع الميادين والمؤسسات الرسمية والغير الرسمية في البلاد العربية، خاصة وأننا نعيش في عصر أصبح العالم متشابك ومتداخل كأنه كتلة واحدة، لكن لابد أن نظهر ونبين للعالم أن تراثنا العربي الاسلامي ثري ومتنوع، وأن نعمل على الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري الذي يميزنا عن بقية شعوب العالم خاصة وأنا لغتنا هي لغة التنزيل الذي اختارها الله – عزوجل- من فوق سبع سموات لتكون لغة القرآن الكريم الذي أنزل على أفضل الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم لتكون لغة العبادة والذكر والتخاطب والتفكير والبحث والتأليف، لذلك فإنه لا غرو من أن ندافع عن لغتنا العربية ولنا منها عربون وفاء لنشرها وتطويرها والارتقاء بها في جميع مناحي الحياة وعلى كافة المستويات والأصعدة، وذلك رغم كيد الكائدين وتخاذل المتخاذلين وعمالة العملاء وحقد الحاقدين قصد تدمير مقوماتنا سواء كان ذلك من الداخل أومن الخارج، ولكن لم ولن يفلحوا هؤلاء وهؤلاء مادام هناك رجال ونساء وأهل فكر وعلم وأكاديميين يقفون وقفة رجل واحد بالمرصاد لكل من تسول به نفسه العبث بمقومات ومقدرات الأمة العربية والإسلامية في كل مكان وزمان، وهذا إلا أن يرث الله الأرض ومن عليها. مصداقاً لقول صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ (وفي روايةٍ مسلم: مَنْ خَذَلَهُمْ) وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» (البخاري رقم: (٧٤٦٠)، ومسلم: رقم (١٠٣٧).).

التوصيات:

١- ضرورة الالتزام على استخدام اللغة العربية في النظام التربوي كأداة تعليمية وعلمية في جميع الأطوار التعليمية.

٢- الإكثار من إنشاء مخابر بحث متخصصة في وضع مصطلحات علمية خاصة بتدريس العلوم والتكنولوجيات الحديثة وتمكن توزيعها على مستوى واسع من الهيئات التعليمية والمؤسسات التابعة لها.

٣- التركيز على ضرورة أن تكون وسيلة الاتصال والتخاطب الوحيدة هي اللغة العربية في جميع المؤسسات التربوية والتعليمية والقطاعات الحكومية والوزارات ووسائل الاعلام.

٤- العمل على ضرورة إثراء التكوين اللغوي لدى التلاميذ من خلال الاهتمام بتذوق بعض مقتطفات الأدب الجزائري والعربي والإسلامي.

٥- العمل على ترقية نشر اللغة العربية من خلال توفير ميزانية خاصة بالنشر والترجمة خاصة فيما يتعلق ترجمة الكتب العلمية إلى اللغة العربية.

٦- توفير المراجع العلمية في المكتبات الجامعية والمدارس والمؤسسات البحثية والحرص على أن تكون حديثة وباللغة العربية خاصة فيما يتعلق بالكتب التقنية وهذا في جميع أنحاء البلاد.

٧- ربط اللغة العربية بحركية البحث العلمي خاصة في المعاهد والجامعات والمراكز البحثية.

٨- توفير سند قانوني ملزم لكل الهيئات والمؤسسات على ضرورة الإلتزام الكامل بتطبيق جميع النصوص التشريعية المتعلقة بضرورة إستعمال اللغة العربية في التدريس لدى جميع المراحل التعليمية والصهر على تطبيقه من طرف السلطات العليا للبلاد.

٩- تشجيع المبدعين والمبتكرين الشباب الذين ينجزون بحثوهم ولديهم براءة إختراع مستمدة من استعمال اللغة العربية في أبحاثهم العلمية.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١- إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر ١٨٣٠-١٩٦٢،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٧م.

٢- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثالث، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر،٢٠١١م.

٣- إحسان محمد الحسن، تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي، الطبعة الأولى، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨م.

٤- إدريس خضر، دراسة وضعية التعليم والثقافة في الجزائر،منشورات ثالة، الجزائر،٢٠٠١م.

٥- تركي رابح، الشبيبة الجزائرية أمام أخطار الغزو الثقافي الإستعماري،الثقافة – مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، السنة الربعة عشرة، عدد ٨٠، أبريل ١٩٨٤م.

٦- جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، خطة تطوير التعليم في الوطن العربي،الطبعة الثالثة، تونس، ٢٠٠٩م.

٧- خالد أحمد حربي، علوم حضارة الإسلام ودورها في الحضارة الإنسانية، كتاب الأمة – سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، قطر، ط١، العدد: ١٠٤، السنة الرابعة والعشرون،٢٠٠٥م.

٨- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية (عناصر من أجل مقاربة إجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري)،ترجمة محمد يحياتن،الطبعةالثانية، دار الحكمة، الجزائر، ٢٠١٣م.

٩- صالح بلعيد،المجتمع المدني وترقية إستعمال اللغة العربية، (فعاليات يوم دراسي)، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس، الجزائر، ٢٠٠٧م.

١٠- طالب عبد الرحمن، العربية تواجه التحديات، كتاب الأمة – سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، قطر، ط١، العدد: ١١٦، السنة السادسة والعشرون،٢٠٠٦م.

١١- طالب عبد الرحمن، نحو تقويم جديد للكتابة العربية، كتاب الأمة – سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، قطر، ط١، العدد: ٦٩، السنة التاسعة عشرة،١٩٩٩م.

١٢- عبد الرحمن سلامة، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، مكتبة الشعب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، ١٩٨١م.

١٣- عبد العزيز بن عبدالله السنبل،التربية في الوطن العربي على مشارف القرن الحادى والعشرين، الطبعة الأولى، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢م.

١٤- عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر،حقائق ومشكلات، الطبعة الثانية، جسور للنشروالتوزيع، الجزائر،٢٠١٣م.

١٥- عبد الكريم الأشتر، العربية في مواجهة المخاطر،الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت،٢٠٠٦م.

١٦- عبد المالك حمروش، التربية والشخصية الجزائرية العربية الإسلامية(بين عبقرية ثورة التحرير وضلال الثورة المضادة، مطبعة عمار قرفي، باتنة،١٩٩٠م.

١٧- عبد الناصر بوعلي، تطوير اللغة العربية، اللغة العربية، مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية باللغة العربية، العدد الثاني والعشرون، السداسي الأول، الجزائر، ٢٠٠٩م.

١٨- عزالدين ميهوبي،المجتمع المدني وترقية إستعمال اللغة العربية،المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس، الجزائر، ٢٠٠٧م.
١٩- فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر(١٨٣٧-١٩٣٧م) المنطلق- السيرورة- المآل، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر،٢٠١٣م.
٢٠- مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، مؤسسة الرسالسة، دار النفائس، بيروت، دت.
٢١- مجموعة من المؤلفين،التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية)، مركز دراسات الوحدة العرلبية، الطبعة الثانية، بيروت،١٩٨٦م.
٢٢- محمد السوالي، السياسات التربوية (الأسس والتدبير)،الطبعة الأولى،دار الأمان، الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢م. ص:١٣٧-١٣٨).
٢٣- محمد الصالح الصديق، الإمام عبد الحميد أبن باديس جهاد ومواقف (بأقلام أدباء وعلماء)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٤م.
٢٤- محمد الميلي،إبن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، ١٩٧٣م.
٢٥- محمد على بوغازي، توطين المعرفة العلمية والتكنولوجية وأهمية نشرها باللغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية – دفاتر المجلس-، الجزائر، ٢٠٠٦م.
٢٦- محمد على حوات، العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي،القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٧- مصطفى رجب، العولمة ذلك الخطر القادم(أسبابها- تداعياتها الاقتصادية- آثارها التربوية)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٩م.
٢٨- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلة العربية للثقافة،مجلة نصف سنوية (مارس- سبتمبر)، السنة الخامسة عشرة، العدد التاسع والعشرون، ربيع الثاني ١٤١٦ه-سبتمبر (أيلول)، تونس،١٩٩٥م.
٢٩- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، إستراتيجية تطوير التربية العربية (الإستراتيجية المحدثة)،تونس، ٢٠٠٨م.
٣٠- نفيسة دويدة، النخبة الجزائرية مسار وأفكار (ملامح التكوين، النشاط والمواقف)، منشورات ثالة، الجزائر، ٢٠١٤م.
٣١- نور الهدى مباركية، اللغة العربية بين الحفاظ على الهوية ومواكبة التغير الثقافي، المجلس الدولي للغة العربية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، كتاب المؤتمر، عدد٣،النشر والتوزيع المجلس الدولي للغة العربية، الطبعة الأولى،دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة،٢٠١٥م.
٣٢- وهبة الزحيلي، العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الغربية، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٠م